مراجعات

Maxime Rodinson, Israel : A Colonial - Settler State ? (Monad Press, New York, 1973).

ماكسيم رودنسون ، واحد من الاختصاصيين بشؤون الشرق الاوسط في الغرب. وهو رئيس كلية Partiques des Hautes Etudes وبروفسور في اللغتين العربية والاثيوبية القديمتين وفي علم الاثنولوجيا الشرق اوسطية ، في جامعة السوربون، وقد عاش ودرس في منطقة الشرق الاوسط لمدة سبع سنوات ، ولا يزال يرتبط بالمنطقة عبر علاقات مستمرة منذ الحرب العالمية الثانية . وينحدر رودنسون من عائلة يهودية راديكالية الاتجاه . وقد كان عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي خلال فترة امتدت من عام ١٩٣٧ وحتى عام ١٩٥٨ . ويعتبر واحد من الكتاب المثقفين « الماركسيين المستقلين ».

والجدير بالذكر ان كتابه « اسرائيل : دولة استعمارية ــ استيطانية » ، الذي يرتكز على مصادر عديدة باللغات الاوروبية والعربية والعبرية، قد نشر للمرة الاولى في عدد خاص من مجلة « الازمنة الحديثة » التي يشرف على تحريرها جان ــ بول سارتر ، وذلك في أواخر عام ١٩٦٧ وفي نهاية حرب حزيران (يونيو) .

يحاول البروفسور رودنسون ، وقد وفق في ذلك، ان يتوصل الى وضع مدخل ، يرتكز على الوثائق، للمسألة المركزية والرئيسية التي يحددها في هذه الدراسة : هل يمكن تصنيف اسرائيل كدولة استعمارية ــ استيطانية ، وشعب فلسطين بالتالي ، كشعب يخضع للاستعمار الاسرائيلي ؟ مدخل المناقشة سليم ، الا ان نتيجتها جاءت مخالفة ، بل مناقضة ، للمدخل . كيف ؟ للاجابة ، لا بد من استعراض المدخل والهوة التي سقط فيها رودنسون .

للاجابة حول امكانية تصنيف اسرائيل دولة استعمارية ــ استيطانية ، يعود رودنسون الى مرتكزات الصهيونية وعقليتها خلال ظروف اوروبا القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، عندما كانت الرأسمالية تدخل عصر التوسع الكبير وبناء امبراطوريتها التي قادت في النهاية الى نشوب اول حرب عالمية امبريالية . فقد دخلت القوى الاوروبية دول العالم الثالث ، ونهبت ثرواته وسخرت شعوبه لاستغلال تلك الثروات لمصلحة تلك القوى عبر ضم الاراضي واستعمارها ، تحت شعار « بعثات الحضارة » . أما الصهيونية ، وذلك على عكس الاستعمار الاوروبي ، « فقد اتجهت الى تأسيس قاعدة اجتماعية بالاضافة الى مصادرة وضم الاراضي القومية » .

ويعرض رودنسون ، مرتكزا على مصادر تاريخية ومصادر صهيونية عديدة اخرى ، ان اسرائيل قد تأسست نتيجة لقهر استعماري ، وبررت انشاءها ايديولوجية سمو الاعراق العرقية « التي تتحدد بوجهات النظر الشوفينية حيال شعوب العالم المتخلف التي تؤمن البرجوازية الاوروبية الوطنية بها » .

ويظهر رودنسون في دراسته « اسرائيل : دولة استعمارية ــ استيطانية » ان الخطط التي وضعت لانشاء دولة يهودية في فلسطين العربية لم تلق رواجا بين صفوف اليهود انفسهم ، الى ان وجدت الامبريالية البريطانية نفسها مقتنعة كي تكفل قيام تلك الدولة « كي تبرر تدخلها المستمر في منطقة الشرق الاوسط » . ويثبت رودنسون ان الخطة الصهيونية ، على الرغم من اهدافها التحررية والانسانية التي جاهرت بها ، ارتكزت على تعاون الوكالات الصهيونية الوثيق بالضغط على بريطانيا